قِصَّةُ دِرَاسَتِي القُرآنِيَّة

لِلدَّاعِيَةِ الحَكِيمِ، المُفَكِّرِ الإِسْلَامِيِّ الكَبِيرِ

العَلَّامَةِ سَيِّدِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيّ الحَسَنِيِّ النَّدْوِيِّ

نَقَلَهَا لِلعَرَبِيَّةِ

مُحَمَّد نُعْمَان الدِّين النَّدْوِي

عُضْوُ رَابِطَةِ الأَدَبِ الإِسْلَامِيِّ العَالَمِيَّة

اعْتَنَى بِهَا

سَيِّد عَبْد المَاجِد الغَوْرِي

دَار ابْن كَثِير

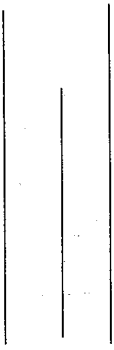

قِصَّةُ دِرَاسَتِي القُرآنِيَّة

الطبعة الأولى

1426 هـ ـ 2005 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

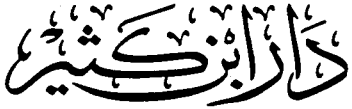

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : ثقافة إسلامية

العنوان : قصة دراستي القرآنية

التأليف : الشيخ أبو الحسن الندوي

الترجمة : محمد نعمان الندوي

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 28

القياس : 14×20

نوع التجليد : غلاف

الوزن : 0.2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة علي جواد

التجليد : مؤسسة الشرق الأوسط للتجليد

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

قصة دراستي القرآنية

للداعية الحكيم، المفكر الإسلامي الكبير

العلامة سيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

(١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ)

(١٩١٤ - ١٩٩٩م)

نقلها للعربية

محمد نعمان الدين الندوي

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

اعتنى بها

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير

دمشق - بيروت

كلمةُ المُترجِم

يسعد مجلَّة : « الصحوة الإسلامية[1] أن تنفرد بتقديم هذا البحث القرآنيّ الفذِّ ـ الذي دَبجه يراعُ العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي ـ رحمه الله ـ لأول مرّةٍ إلى الإخوة العرب الأفاضل بصفةٍ عامةٍ ، وأصحابِ الذوق القرآني منهم بصفةٍ خاصةٍ .

إنَّ هذا البحثَ ـ الذي مضى على صدوره ما يقرب من نصف قرنٍ ، حيث كان نُشِر سنة ١٩٥٦م في العدد الخاص بالقرآن الكريم من مجلة : « صُبْح صادق » الأردية الشهرية ، التي كانت تصدر في مدينة لاهور (الباكستان) ، يحمل البحثُ إشاراتٍ ، ويُنير جوانب ، ويُرشد إلى معالم ومناراتٍ تُضيء الطريقَ للمشتغلين بالتفسير ، وتسهِّل مهمتهم وتساعدهم في تحقيق مقصدهم العظيم .

والحقيقة أنَّ البحث جديرٌ كل الجدارة بأن يجعله المتخصِّصون في الموضوع نِبراساً لهم ومشعلاً ، يُواصِلون

---

(١) مجلَّةٌ فصليةٌ يُصدِرها قسمُ اللغة العربية وآدابها بدار العلوم ـ حَيْدَرْآباد ، وهي إحدى كبرى المجلات الإسلامية التي تصدر في الهند .

رحلتَهم القرآنية مستنيرين بما احتواه ـ البحث ـ من توجيهاتٍ ولفتاتٍ وتجارب لرجلٍ قرآنيٍّ عاش ـ مدَّة حياته ـ للقرآن وبالقرآن .

وجزى الله أخانا الفاضل الكريم الأستاذ سعيد مرتضى الندوي ـ المدرِّس بكلية التربية للبنات ، الرياض ـ الذي أشعرنا بقيمة البحث وضرورة تعريبه ، لكي ينتفع به إخوانُنا العرب الكرام ، الذين يحرصون ـ دائماً ـ غايةَ الحرص على قراءة كل ما أثرى به العلامةُ الندوي المكتبةَ الإسلامية بلغاتها المختلفة ، فللأستاذ سعيد الندوي ، والأخ سيد عبد الماجد الغَوْري ـ الذي اعتنى بالبحث ضبطاً وتعليقاً ـ شكرنا وتقديرنا ، والجزاء الأوفر من الربِّ الشكور !

حيدر آباد ٢٤/ ذو الحجة ١٤٢٣هـ **رئيس التحرير**

محمد نعمان الدين الندوي

قِصَّة دراستي القرآنيّة

قرأتُ القرآنَ الكريم في الصِّبا حسب التقليد السائد الذي ظلَّ متوارثاً في البيوتات والأُسَر المسلمة لحدِّ الآن ، وكنتُ أتلو القرآنَ الكريم بعد أن أكملتُ قراءتَه قراءةً جيّدةً ناضجةً ، ولكن ـ للأسف ـ لم أستطع المواظبةَ على التلاوة رغم تأكيد الكبار وحثِّهم على ذلك .

ولمَّا بدأتْ مرحلةُ دراستي العربية ، وحصل لي حظٌّ ضئيلٌ وقدرٌ يسيرٌ من الإلمام باللغة العربية أخذتُ أفهم الآياتِ القرآنية فهماً قليلاً ، وإنَّ أستاذي فضيلة الشيخ خليل بن محمد[1] يحظى بذوقٍ قرآنيٍّ طاهرٍ رفيعٍ ، وله

---

(١) هو الشيخ خليل بن محمَّد بن حسين بن مُحسِن الأنصاري اليَمَني ، هنديُّ المولد ، يمنيُّ الأصل ، كان من نوادر المعلِّمين الذين يطبعون تلاميذهم النجباء بطابعهم ، وينقلون إليهم التذوُّقَ بالنثر البليغ والشعر الرقيق ، واستطعامهما والتلذُّذَ بهما ، كان رقيقَ الذوق ، كريم الأخلاق ، له قَدَمٌ راسخة في اللغة العربية وعلوم البلاغة ، تخرَّج عليه عددٌ وجيهٌ من العلماء الذين لهم خدماتٌ جليلة=

بـه ـ بكتـاب الله ـ شغـفٌ زائـدٌ عظيـمٌ ، وكـان كثيـراً مـا يصلِّـي بـالنـاس الفجـرَ آنـذاك فـي مسجـد حيِّنـا ، وينتمي نسباً إلى تلك القبيلة العربية الكريمة التي رحَّبَ الرسولُ ﷺ بوفدٍ لها قائلاً : « أتاكم أهلُ اليَمَن ، أرَقُّ أفئدةً ، وألينُ قلوباً »[1] ، ولقد رزقه الله من الرِّقَّة والخشوع والتأثُّر حظّاً وافراً ونصيباً عظيماً ، فلا يتمالك نفسَه وهو يتلو القرآن الكريم فتفيَّض عيناه دموعاً ويتأثَّر صوته بكاءً وخشوعاً ، وهو ممتلىءٌ عطفاً ورحمةً وشفقةً ومواساةً لخلق الله أجمعين ، وأُعطِي صوتاً شَجِيّاً حزيناً ، ولحناً مؤثِّراً مرقِّقاً ، وأذكر جيّداً أنه كان يقرأ في صلاة الفجر إحدى السُّوَر الكبيرة من الأجزاء الأخيرة للقرآن الكريم ، ولكن قلَّما كان يُكمِلها لشدَّة التأثُّر وغلبة البكاء عليه ، ويبقى السامعون ـ المصلُّون خلفه ـ في

= في نشر اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية ، ومنهم العلامة أبو الحسن الندوي ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بكراتشي عام ١٣٨٦هـ (انظر ترجمته بقلم العلامة الندوي في كتاب « من أعلام االمسلمين ومشاهيرهم » ص : ٢٨١ ، طبع دار ابن كثير بدمشق) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ، برقم (٤٣٨٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه . . . ، برقم (٥٢) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الحسرة على أنهم لم يتمتَّعوا بسماع السُّورة كاملاً .

لقد بدأتُ دراستي القرآنية ـ أيضاً ـ على الشيخ خليل نفسه ، وكان التوحيد يملك عليه قلبه وعاطفته وشعوره ، فكانت عقيدتُه ـ ولا أزكِّي على الله أحداً ـ صارمةً صافيةً نقيةً خالصةً لا غبارَ عليها ، وكان يحرص على أن يجعل تلاميذه ـ أيضاً ـ يعتقدون مثلَه ، ويحملون عقيدتَه ، وكانت سورةُ الزُّمَر « التي تتميَّزُ بالدعوة إلى التوحيد في قوَّةٍ وصراحةٍ كبيرتَين » من السُّور المختارة الحبيبة إليه الأثيرة لديه .

ولمَّا صِرْنا نشدو من العربية ، وتقدَّمنا فيها ـ قليلاً ـ تعلُّماً وفهماً ، بدأ الشيخُ تدريس هذه السورة ، ثم درَّسَ سورة « المؤمن » و« الشُّورى » ، وكان له شغفٌ خاصٌّ بآيات قرآنية معيَّنة يقرأها في حماسٍ ومتعةٍ ولذَّةٍ ، منها الآيات الأخيرة من سورة « آل عمران » ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . التي وَرَدَ عنها في الروايات الصحيحة أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا قام في الهَزِيْع الأخير من الليل للتهجُّدِ بدأ بقراءتها ـ أواخر آل عمران ـ صلواته[1] ،

---

(١) ومن الآثار في فضائل سورة آل عمران:
عن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: « من قرأ آخرَ =

وكذلك أواخر سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

أذكرُ هذه الآياتِ الكريمة ـ الحبيبة إلى الشيخ ـ بصفةٍ خاصةٍ ، وكأنَّ صَدَى لحن الشيخ المؤثِّر المرقِّق الشَّجِيِّ لا يزال يرِنُّ في الآذان ، وصارت هذه الآياتُ تَرُوقنا وتُعجِبنا نحن لمَّا سمعناها من الشيخ مرَّاتٍ وكرَّاتٍ ، وهكذا نشأتْ صلةٌ ذوقيةٌ بالقرآن الكريم .

ولمَّا تقدَّمنا تقدُّماً ملحوظاً في دراسة اللغة العربية ، بدأنا نجد لذَّةً ومتعةً في تلاوة القرآن الكريم ، وكانت حدَثَتْ يومئذٍ في أُسْرَتِنا أحداثٌ ، وألَمَّتْ بها خطوبٌ كانت ـ في حدِّ ذاتها ـ تفسيراً عفوياً ـ إذا صحَّ هذا التعبيرُ ـ للكثير من الآيات القرآنية .

وكان يتراءى بوضوحٍ أنَّ نظام المجازاة الإلٰهيِّ نظامٌ

= آل عمران في ليلةٍ كُتب له قيامُ الليل » أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل آل عمران ، برقم (٣٢٧٣) .
وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: « كنز الصَّعلوك سورة آل عمران ، يقوم بها في آخر الليل » أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (٣/ ٣٧٥) برقم (٦٠١٥) ، والدارمي في كتاب فضائل القرآن ، باب فضل آل عمران ، برقم (٣٢٧٥) .

كونيٌّ شاملٌ متكاملٌ ، وأنَّ لسيرة الأمم والجماعات وسلوكها أثراً كبيراً في عروجها وانحطاطها ، وفي إقبالها وإدبارهـا ، وأنَّ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] . حقيقةٌ أبديةٌ ، وزِدْنا إيماناً على إيمانٍ بأنَّ هذا الكتابَ كتابٌ حيٌّ خالدٌ ، إنَّه لا يعرض إلا لأحداث الأحياء وقِصَصهم ، وإنه مرآةٌ للحياة ، يستطيع كلُّ شخصٍ أن يرى فيها صورتَه ، ويبحث فيها عن نفسه وحقيقته .

وإنَّ الآية : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ ﴾ [الأنبياء : ١٠] قد فُسِّرت تفسيراتٍ مختلفةً ، منها : « فيه حديثكم » ، ولقد سمع التابعيُّ الجليل أَحْنَفْ بن قَيْس[1] ذاتَ يوم هذه الآيةَ ، فطلب المصحفَ قائلاً : « أرى فيه نفسي بأيِّ كلمات ذُكِرْتُ فيه » ، وبعد أنْ قلَبَ صفحاتٍ ،

---

(١) هو الأحْنَف بن قَيْس بن معاوية بن حُصين التَّمِيْمي السَّعْدِي ، أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضرَب به المثلُ في الحِلْم ، أدرك النبيَّ ﷺ ، ولم يره ، ويُروى بسندٍ ليِّنٍ أن النبيَّ ﷺ دعـا له . قال الحسن البصـري : « ما رأيتُ شـريفَ قومٍ أفضلَ من الأحْنَف » أخبارُه كثيرة جداً ، وخُطبه وكلماته متفرِّقةٌ في كُتب التاريخ والأدب والبلدان ، توفِّي بالكوفة عام ٧٢هـ (انظر ترجمتُه في « تهـذيب التهـذيب » (١/ ٩٩) و« تـاريخ الإسـلام » للـذهبي (٣/ ١٢٩) و« وفيات الأعيان » (١/ ٢٣٠) .

ونظر في آياتٍ ، وقف عند آية وقال : لقد وَجَدتُ ذِكْرِي ، وكانت الآية : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٢] .

وهذا الذي كنتُ أراه بوضوحٍ من أنَّ هذا الكتاب العجيب العظيم يتضَمَّنُ ذكرَ الأمم والأُسَر والأفراد ، وبيانَ أسبابِ نهضتها وتخلُّفِها وتقدُّمِها وتأخُّرِها ، ولقصر همَّتِي وقلَّةِ حظِّي من العلم ، وضآلة بضاعتي فيه لم يكن لي بصرٌ بتأريخ الأمم ، وكانت مساحةُ اطلاعي ودراستي قاصرةً محدودةً ، فكانت تتجلَّى لي صداقةُ القرآن ـ أروع ما يكون الجلاءُ والوضوحُ ـ في إطار أسرتي ومعارفي ، فهذا الاكتشافُ أدَّى إلى تقويةِ اتصالي بالقرآن الكريم ، ورغبتي فيه وإقبالي عليه ، وكنتُ أستمتع ـ آنذاك ـ بتلاوة سورة « المائدة » و« الأنعام » و« الأعراف » بنوعٍ خاصٍّ .

وإنَّها ـ حقّاً ـ مصادفةٌ رائعةٌ عجيبةٌ قدِّرتْ لدراستي ، على أنِّي لا أسمِّي ذلك مصادفةً ، بل تأييداً إلهياً وفضلاً ربَّانياً حظيتُ به ، وهو أنِّي تعلَّمتُ كلَّ فنٍّ بمفرده دُون إشراكٍ معه فنّاً آخر ، فما درستُ المنهجَ الدراسي المشترَك المختلط بأنواعٍ من العلوم والفنون ، فإنَّ

أستاذي الجليل ـ صاحب النظر العميق والذوق الحميد ـ الشيخ خليل قام بتدريسي الأدب العربي ، فقد ظللتُ أدرِّسُ ثلاثَ سنوات كاملة مادةَ الأدب من « المطالعة العربية »[1] إلى « نهج البلاغة » ، و« الحماسة » و« دلائل الإعجاز » وما إلى ذلك ، فأسفرت مصاحبةُ الأستاذ ذي الذوق الصحيح ، والمعايشة للأدب العربي مُصبِحاً ومُمسِياً عن أُنسٍ وكِلْفٍ خاصَّين باللغة العربية ، جعلاني أشعر بحلاوتها ولذَّتِها ، ولم تعد هناك حاجةٌ ـ بالنسبة لي ـ إلى تدليلٍ على الشعور بدقَّةِ كلامٍ دقيقٍ ، وروعةِ تعبيرٍ رائعٍ ، فبدأتُ أشعر ـ وجدانياً وذوقياً ـ بالإعجاز القرآني ، وغدا ذلك ـ الإعجاز ـ حقيقةً بدهيةً غير محتاجةٍ إلى دليلٍ آخر ، أو شهادةٍ خارجيةٍ البتة ، إنَّ كلَّ نقطةٍ من نُقَاط القرآن الكريم صارخةٌ ناطقةٌ بأنها كلام الله ، ولا يستطيع أن يؤثِّر على ذلك الإيمان واليقين شكٌّ

---

(١) هذا الكتابُ أعدَّته وزارةُ التعليم المصرية باسم « المطالعة المصرية » وجاء به أحدُ الأساتذة للغة العربية ونشره في الهند باسم « المطالعة العربية » وكان قد أُلِّف على طريقة المقرَّرات الابتدائية الجديدة ، وكانت دُروسُها تُلائم ذوقَ الأطفال وسِنَّهم وبيئتهم ، ولكنَّها كانت متجرِّدةً عن الطابع الديني ، وقد استغنى الطلابُ الهنود عنه وعن أمثاله بعد أنْ أَلَّفَ لهم العلامةُ الندوي كتباً في لغةٍ سهلةٍ ، وأسلوبٍ شيِّقٍ ، كـ « قصص النبيين » و« القراءة الراشدة » .

أو إنكارُ العالم بأجمعه ، والفضل في تكوين الذوق الصحيح للقرآن الكريم وفيما ظهَرَ لي من تميُّزِه بالانفرادية والطرافة والجِدَّة والخصوصية البيانية مقارنةً بالثروة الأدبية عامةً لا يرجع إلى الاشتغال باللغة العربية وآدابها ، بل سأظلُّ مديناً في هذا الفضل مدى الحياة لأستاذي الكريم وأخي[1] المربِّي العطوف .

إنَّني أرى أنَّ الطريقة التي تسلكها المدارسُ العربيةُ بخصوص تعليم اللغة العربية والأدب العربي لن تُثمِرَ هذه الثمرةَ . . إنَّ كُتُبَ المنهج الدراسي القديم العقيم التي لا روحَ فيها ولا حياةَ ، ولا نضارةَ ولا بهاءَ ، أو كُتبَ المعاني والبيان التي أُلِّفت في عصور الانحطاط للغة العربية والتي كان مؤلِّفوها ـ أنفسهم ـ ضحايا العجميَّة ،

---

(١) هو الدكتور السيِّد عبد العلي الحسني ، كان طبيباً حاذقاً ، وعالماً تقياً ، وعَلَماً من أعلام الأمة الإسلامية ، ونادرةً من نوادر الأيام في الجمع بين الثقافتين الشرقية والغربية ، ومحاسن القديم والجديد ، كان شديدَ العناية بنشر تعليم اللغة العربية وآدابها في الهند ، وكان له جهدٌ مكثَّفٌ ، وسعيٌ مشكورٌ في تغيير منهاج دراستها في دار العلوم ـ ندوة العلماء . انتُخب رئيساً لدار العلوم عام ١٩٣١م وما دام على هذا المنصب حتى وافاه الأجل المحتوم عام ١٣٨٠هـ ، وإليه يرجع الفضلُ في تربية العلامة الندوي ثم في تكوين شخصيته (انظر ما كتبه العلامةُ عنه في « شخصيات وكتب » ص : ٦٣ ، طبع دار القلم بدمشق) .

إنَّ هذه الكتب والمؤلَّفات لقاصرةٌ كل القصور عن تكوين الذوق الصحيح للعربية ، وإحداث الشعور بحلاوتها والتمتُّع بلَذَّتها ، فإنَّ فهم إعجاز القرآن وبلاغته ولطائفه ودقائقه على أساس هذه الكتب أو بالاستناد إلى دلائل البلاغة والبيان غيرُ ممكنٍ تقريباً ، وإذا وُجد هناك استثناءٌ فلا يُعَدُّ ذلك إلا من الخوارق للعادة ، والشَّاذ كالمعدوم .

كان مِن حُسْن حظِّي أنِّي بعد ما أكملتُ منهجَ الأدب ـ الذي ابتكره ووضعه الشيخُ خليل ـ سعدتُ بصحبة العلامة الشيخ تقي الدين الهلالي المُرَّاكشي الذي كان من الأعلام الأفذاذ في العربية والنحو في العصر الحاضر ، والذي يستحقُّ أن يُسَمَّى « إمام الفنِّ بحقٍّ وجدارةٍ »[1] .

---

(١) هو العلامة البحَّاثة : الدكتور تقي الدين الهِلالي المُرَّاكشي ، كان من كبار علماء اللغة العربية في هذا العصر ، وأصحاب التحقيق والإتقان في صحة الكلمات العربية ، وأصالتها وقواعد اللغة من صرفٍ ونحوٍ ، واشتقاقٍ وبلاغةٍ ، ومِن أقوى الناس إنكاراً على التعبيرات المستحدثة المنقولة من اللغات الأجنبية . وُلِد بسِجِلْمَاسَة في المغرب . سافر إلى الهند وقرأ الحديث على كبار محدِّثيها يومئذٍ ، وتخرَّجَ عليه عددٌ كبير من علماء الهند ، ومنهم العلامة الندوي ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بالدار البيضاء (في المغرب) عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) .

وبعد الأدب درَستُ شيئاً من الفقه ، ثم حضرتُ درسَ الحديث الشريف للعلامة الشيخ حيدر حسين الطُّوْنَكي[1] بـ« ندوة العلماء »، وأكملتُ منهجَه في عامَين.

كما قرأتُ ـ في نفس الفترة ـ أجزاءَ من « التفسير البَيْضاوي » على الشيخ ـ نفسه ـ الذي كان من كبار مدرِّسي المنهج النِّظامي[2] الفضلاء البارعين ، أصحاب الخبرة الطويلة بالتدريس ، ثم توجَّهتُ إلى لاَهُور ، وحضرتُ هناك ـ مدَّةً لا بأسَ بها ـ درسَ الشيخ أحمد

---

(١) كان مِن كبار العلماء الربَّانيين ، والمعلِّمين المربِّين ، وكان له مشاركةٌ جيدةٌ في الفقه والأصول والكلام والحديث ، وكان منهجُه في تدريس الحديث منهجاً علمياً ، هو أشبه بمنهج المحدِّثين منه بمنهج الفقهاء ، درَسَ عليه العلامةُ الندوي كُتبَ الحديث الأربعة (غير سُنَن النَّسائي وابن ماجه) ، توفِّي ـ رحمه الله ـ بلَكْنو عام ١٣٦١هـ .

(٢) هو منهجٌ ينتمي إلى العلامة نِظام الدين الأنصاري الفِرَنْكِي مَحَلِّي ـ و« فِرَنْجِي مَحَلْ » حيٌّ معروفٌ قديمٌ في لَكْنو ، نبغ فيه علماء كثيرون ، وهو كحيِّ « الميدان » في دمشق ، و« الأعظمية » في بغداد ـ (المتوفَّى سنة ١١٦١هـ) يلتزم تدريسَ الفلسفة والمنطق ، وأصول الفقه وعلم الكلام ، ويُعنى به عناية خاصة ، هذا مع عنايةٍ زائدةٍ في دار العلوم دِيُوبَنْد الإسلامية بتدريس الحديث الشريف وعلومه مع أدبٍ واحترامٍ ، ودراسةٍ مقارنةٍ ، ومحاكمةٍ استدلاليةٍ ، وإثبات المذهب الحنفي وترجيحه .

اللاَّهُوْرِي[1] ، وكان يغلِب على منهج تفسيره النزعةُ السياسية ، واتجاهُ الاستنباط السياسي ، إنَّ هذا المنهج التفسيري وإن لم يقع مني موقعَ كثيرِ ملائمةٍ معه أو ميل إليه ، إلا أنَّ دماثة خلق الشيخ الكريم وتقشُّفه وزهده في الحياة ، وعاطفته العقدية الحازَّة مما نفعني كثيراً .

بعد الرجوع من (لاهور) ، وبعد الفراغ من الحديث الشريف ، انقطعتُ كلِّياً إلى التفسير أعكِفُ على قراءةَ مصادرِه وكُتبه ، ونسيتُ أنْ أذكر أنِّي قد قرأتُ ـ أيضاً ـ بعضَ تفسيرات الإمام ابن تيمية المُوجَزة[2] ،

---

(١) أحد كبار المفسِّرين في شبه القارة الهندية ، كان يُقيم في (لاهُوْر) الواقعة اليوم في باكستان ، دَرَسَ التفسيرَ على المفسِّر المشهور الشيخ عُبَيْد الله السِّنْدي ـ الذي كان له مذهبٌ في تفسير القرآن الكريم ، كان يستنبط منه دقائق السياسة العصرية ، والمذاهب الاقتصادية ، ويتوسَّع في الاعتبار والتأويل ـ درَسَ عليه العلامةُ الندوي التفسير وحضر بعضَ الدروس من كتاب « حجَّة الله البالغة » للإمام شاه ولي الله الدّهلوي . لم أعثر على تاريخ وفاته .

(٢) وهي « تفسير سورة النور » كما ذكره العلامة الندوي نفسُه في « شخصيات وكُتب » وقد تحدَّثنا عنه في كتابنا « أبو الحسن الندوي الإمام المفكِّر الداعية المربِّي الأديب » في قسم « الكتب التي تأثَّر بها العلامةُ الندوي » اقرأه في الباب الثاني صفحة (٣٨٧) ، وهو يُطلِعك على الكتب التي لها فضلٌ كبيرٌ في تكوين شخصية العلامة الندوي .

ورسائل الشيخ حميد الدين الفَرَاهي[1] ، فكان معظمُ الوقت يُنفَق في مطالعة كتب التفسير القديمة ، وكنتُ أُطالِع بنفسي غالباً ، وإذا خطر إشكالٌ حاولتُ حلَّه بالكتب الأخرى ، وقرأتُ ـ في تلك الفترة ـ « تفسيرَ الجلالين » و« تفسير البَغَوي »[2] الضخم و« معالم

---

(١) هو العلامة المفسِّر ، البحَّاثة اللُّغَويّ : الإمام حميد الدين أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري الفَرَاهِي ، وُلد في قرية (فَرِيْهَا) مِن قُرى مديرية (أعظم كَرَهْ) عام ١٢٨٠م ، تتلمذَ في التفسير والحديث والفقه على كبار علماء عصره ، أمثال الإمام المحدِّث الفقيه الشيخ عبد الحي اللَّكْنَوِي وغيره ، وقام بتدريس تفسير القرآن وعلومه في جامعات الهند الكبرى ، وكان مُلِمّاً باللغات العديدة . وكان يعتقد أنّ القرآن مرتَّبُ بيانه ، ومنسّقةُ النظام آياتُه ، وكلُّ ما تقدَّمَ وتأخَّرَ مِن سُوَرِه وآيه بُني على الحكمة والبلاغة ورعاية مقتضى الكلام . فلو قدِّمَ ما أُخِّرَ ، وأُخِّرَ ما قدِّمَ لبطل النظامُ ، وفسدت بلاغةُ الكلام . وكان يرى أنَّ القرآن يفسِّر بعضَه بعضاً ، فأعرض عن القصص وما أتى به المفسِّرون من الزخارف والعجائب . هذا كان دأبه في تفسيره الذي سمَّاه « نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان » . توفِّي ـ رحمه الله ـ بمدينة (مَتْهَوْرا) عام ١٩٣٠م . وله كُتُبٌ قيمةٌ باللغة العربية مفيدةٌ جدّاً للمشتغلين والمهتمِّين بالقرآن وعلومه ، ومنها البعض مطبوعٌ في دار القلم بدمشق ، كـ « إمعان في أقسام القرآن » وغيره .

(٢) ويسمَّى بـ « لباب التأويل في معالم التنزيل » أيضاً ، وهو للمحدِّث المفسِّر الحسين بن مسعود بن محمد الفَرَّاء ، الملقَّب بمُحيي السنَّة ، المتوفَّى عام ٥١٠هـ .

التنزيل »[1] و« الكشَّاف » للزَّمَخْشَري قراءةَ استيعابٍ واستقصاءٍ ، أمَّا « المدارك » للنَّسَفِي فأحفظ نِصفَه .

خِلال مطالعتي للتفسير حصَلَتْ لي تجربةٌ عجيبةٌ أنَّ كتاباً واحداً لا يستطيع أن يُقنِع كلَّ رجلٍ ويشفي غليلَه ، فإنَّ مدارك الفكر والرأي من شدَّةِ التفاوت والتناقض بمكانٍ لا يمكن معه أن يقنع رجلٌ واحدٌ الناسَ جميعاً ، فتعرضَ لغبيٍّ شبهةٌ لا تخطر للذكر ببالٍ ، فيمرُّ بها دونما التفاتٍ إليها أو وقوفٍ عندها ، ولم تنحلَّ بعضُ إشكالاتي بكتب التفسير المعروفة ، بل وجدتُ جوابَها في هامش كتابٍ ، أو تفسيرٍ غير معروفٍ ، وتفصيل ذلك يؤدِّي إلى الإطالة ، فلا نتعرَّضُ له .

ولمَّا فوِّضَ إلى شخصي المتواضع تدريسُ « مادة التفسير » بدار العلوم لندوة العلماء ، سَنَحتْ لي فرصةُ دراسةِ التفسير بشكلٍ أكثر تعمُّقاً وتدبُّراً ، وأعظم عنايةً واهتماماً ، وقد أسْعَفني « رُوح المعاني » للآلُوسي كثيراً .

كما حصلَتْ تجربةٌ أخرى ، وهي أنَّ ما تعرَّضَ له

---

(١) هو المعروف لدى الطلاب بـ « تفسير النَّسَفي » المنسوب إلى صاحبه أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسَفِي الحنفي ، المتوفى سنة ٧١٠هـ .

« التفسير الكبير » للرَّازي من الاستخفاف بشأنه وازدرائه في الأوساط العلمية الجديدة ، حتى قال القائلون : « فيه كلُّ شيء إلا التفسير » ، إنَّ كل ذلك لا أساسَ له من الصحة على الإطلاق ، فهو ـ تفسير الرازي ـ أبعد ما يكون من أن ينسب إليه مثل هذا الافتراء ، وينظر إليه بهذا الازدراء ، ولا يستحق ذلك البتَّة ، والحقيقة أنَّ فيه ـ رغم الزوائد ـ كلاماً نافعاً مُمتِعاً كثيراً ، وأشياء كثيرة قيمة ـ لا توجد في عامة الكتب الأخرى .

وهناك كتبٌ تفسيريةٌ أخرى كنتُ أراجِعها أحياناً ـ في زمن التدريس ـ مثل « البحر المحيط » لأبي حيَّان وغيره ، ولكنها لم تترك أيَّ تأثير على الذهن ، وتفسير « المَنَار » للعلامة رشيد رضا جديرٌ بالاستفادة ، ويمكن أن يُستعان به بخصوص المباحث والأفكار الجديدة .

وكان تفسيرُ الأستاذ عبد الماجد الدَّرْيَابَادي[1] لم

---

(١) أحد كبار العلماء والمفسِّرين ، والأدباء النقَّاد في الهند ، كتب تفسيراً للقرآن الكريم باللغتين الإنكليزية والأردية ، وبرع في علوم الفلسفة وعلم النفس ، وكتب أبحاثاً في موضوعات شتّى فيما يتعلق بالقرآن ، قدَّمَ خدماتٍ جليلة للصحافة الإسلامية في الهند ، فقد كان بنفسه أديباً إسلامياً كبيراً ، وكاتباً معروفاً سواء في الأردية أو الإنجليزية ، وعالماً بالعلوم الدينية ، وصاحبَ نظرةٍ نافذةٍ ومعرفةٍ واسعةٍ بالأوضاع والظروف التي مرَّ بها المسلمون ـ وكان كثيرَ التعلُّق=

يصدر بعدَ ، وكانت تُعَدُّ هوامشُه بالإنكليزية آنذاك ، وكنتُ أسافر ـ أحياناً ـ إلى دَرْيَابَادْ ـ وطنُ الأستاذ ـ أُراجِع الأستاذَ الدَّرْيابادي فيما يعرض لي من إشكالاتٍ تتصل بالتأريخ القديم أو الأديان والصُّحف الأخرى ، فيُزوِّدني الأستاذُ بمعلوماتٍ قيمةٍ عظيمةِ النفع ، وإنها ـ المعلومات والإفادات ـ الآن مبثوثةٌ مدوَّنةٌ في « التفسير الماجدي »[1] ، ولا شكَّ أنَّ دراستها والاطلاع عليها ينفع طالبَ القرآن الكريم غايةَ النفع ، وبالأخصِّ الذين لا يجدون وقتاً أو وسيلةً لمراجعة المصادر الأصلية .

ولمَّا احتَجْتُ ـ بعد زمن التدريس ـ إلى مراجعة « تفسير الطَّبَري » في أعمال علمية ، انكشَفَتْ لي قيمةُ هذا التفسير وقدره ، وتبيَّنْتُ أنه ـ تفسير الطبري ـ ليس مكتبةً ضخمةً للتفسير فقط ، بل للتأريخ والأدب أيضاً ، ووجودها عند رجلٍ يعتبر نعمةً عظيمةً ، فليس هناك

= وشديد الإعجاب بـ« دار العلوم ـ ندوة العلماء » والعلماء المتخرِّجين فيها ، توفّي ـ رحمه الله ـ عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) .

(١) وهو اليوم مطبوعٌ في أربع مجلَّدات ضخام باللغة الأردية والإنكليزية في المجمع العلمي الإسلامي بلكنو (الهند) ، وقد حُظِيتْ هذه الترجمة بالقبول والانتشار في الطبقات المثقفة في شبه القارة الهندية وفي البلاد الأمريكية والأوربية .

مصدرٌ أوثَقَ منه ، ولا أشمَلَ للاطلاع على عادات العرب الجاهليين ، ومعتقداتهم وحياتهم الاجتماعية ، وبيئة الأحكام القرآنية وخلفيتها .

وإنَّه من التقصير والجحود والنُّكران العظيم إذا لم نذكر كتاباً آخر ـ في التفسير ـ وإنْ لم يكن مفصَّلاً، غير أنه أنموذجٌ عظيمٌ لفهم القرآن الكريم ، وهديةٌ نادرةٌ لطلاب التفسير ، إنَّه : « ترجمة معاني القرآني الكريم » للشيخ شاه عبد القادر الدِّهْلَوي رحمه الله[1] ، التي لا يُقدِّرها حقَّ قدرها ، ولا يُدرِك قيمتَها إلا الذين درسوا التفسيرَ دراسةً مستفيضةً شاملةً وعلى مستوى عالٍ ، ويقدِّرون خطورةَ موضوع « مشكلات القرآن »، ويعرفون أنواعَ الصعوبات والعقبات التي تُواجِه المفسِّرين في تأدية بعض معاني القرآن الكريم وشرح بعض مفرداته وتفسيرها، فإذا قرؤوا ترجمةَ الشيخ عبد القادر لمعاني

---

(١) هو الشيخ الإمام الكبير عبد القادر بن شاه ولي الله الدِّهلوي ، كان عارفاً بالله ، بارعاً في العلوم الدينية ، قد انتفع بعلمه الغزير وسلوكه الرشيد ألوفٌ من الناس ، ومِن أعظم ما مَنَّ الله عليه أنه وفِّق لترجمة القرآن الكريم وتفسيره في الأردية . توفي ـ رحمه الله ـ بدهلي عام ١٢٣٠هـ . أمَّا ترجمته لمعنى القرآن إلى الأردية فهي حصيلة للتفاسير التي ألَّفها السَّلفُ الصالح ، ولم يُعْثر على ترجمة في أية لغةٍ عُرِفَتْ أكثر من هذه الترجمة استقاءً لمعاني القرآن الكريم .

القرآن الكريم قدَّروا مدى براعتِه وإتقانِه ونجاحِه في المرور بهذه المشكلات والعقبات ـ الخاصة بالترجمة والتفسير ـ بسلامٍ وأمانٍ وفي يُسْرٍ وعافيةٍ ، وما حُظِيَ به من توفيقٍ في التعبير عن كلمات القرآن الكريم وترجمتها بكلماتٍ أرديةٍ ـ يبدو أنها مُلهَمة من الله ـ في غاية من الدِّقَّة والاتزان والشمول ، وأقدِّم آيةً واحدةً مثالاً لذلك قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٤٤] .

إنَّ كلمة « العِزَّة » في العربية لا تُرادِف « للغلبة » فقط ، أو « للشرف » فقط ، وهاتان الكلمتان مجتمعتين ـ أيضاً ـ لا تستطيعان أن تؤدِّيا المعنى المطلوبَ هنا ، ولم يستطع الأديبُ المفسِّرُ المتمكِّنُ من الفنِّ كالزَّمَخْشَرِي أن يظفر بكلمةٍ مترادفةٍ شاملةٍ لهذه الكلمة ، ولكنَّ ترجمة الشيخ لهذه الكلمة بالأردية قد استوعبت الروحَ الأصيلةَ لهذه الكلمة ، ومثَّلَتْها تمثيلاً صحيحاً ، فترجمها بقوله :

« وه بولـ كه فرعون كـ اقبال ســـ هم هي زبر رهـ » .

وهذه هي الترجمةُ الصحيحةُ لهذه الآية ، والذين اختاروا ـ من الذين جاءوا بعده ـ هذه الترجمةَ لم يختاروها إلا متابعةً للشيخ في ترجمته ، هذا مثالٌ واحدٌ من ترجمة الشيخ الدقيقة الرائعة لمعاني القرآن الكريم ، ويُوجد في تفسيره الكثيرُ من أمثال هذه الروائع والكنوز والدُّرَرِ اليتيمة .

أضِيفُ إلى هذه التجارب العلمية أنَّ القرآن الكريم لا يفتح بابَ فهمه الأصيل إلا إذا خاطب الإنسانُ بهذا القرآن صاحبَ القرآن ـ جلَّ جلاله ـ بدون حجابٍ ولا ستارٍ ، وطريقُ ذلك كثرة التلاوة للقرآن الكريم والاهتمام بالنوافل ، ومجالسة عباد الله الصالحين المتذوِّقين للذَّةِ القرآن الحقيقية ، والعارفين بالحقيقة ، الذين خالَطَ الكلامُ الإلهيُّ لحمَهم ودمَهم ، وسيْطَرَ على عقولِهم وشعورهم ، وجرى حبُّهُ وتأثيرُه فيهم مجرى الروح والدم .

فالحاجة ماسَّةٌ إلى أن يتعرَّف القارىءُ على هذا الكتاب الإلهي تعرُّفاً مباشراً ، ويستأنس به ، ويشغف به ، ويشعر كأنه المخاطَب ـ بالذات ـ من مُنزِّل الكتاب سبحانه .

وما أخطأ الشاعر الأردي حينما قال : « لا يستطيع الرَّازيُ ولا صاحب « الكشَّاف » أن يحلاَّ العُقدةَ ، ويفكَّا المعضلةَ ما لم ينزل على قلبك ـ أنت ـ الكتابُ[1] ! » .

***

---

(١) دبَّجَتْ يراعةُ العلامة الندوي عدَّة مقالاتٍ في ضوء تأمُّلاته ودراساته العميقة للقرآن الكريم ، وقد جمعنا تلك المقالات في كتابٍ مستقلٍّ باسم « دراسات قرآنية » ، وقد طُبع في دار ابن كثير بدمشق في سلسلة « تراث العلامة الندوي » وهو كتابٌ مفيدٌ لجميع المشتغلين والمهتمِّين بالدراسات القرآنية .

نصيحةٌ قيِّمةٌ

قد قرَأَ العلاَّمةُ الندوي التفاسيرَ الضَّخْمَةَ المتداولة والمعروفة وغير المعروفة إلاَّ أنَّه استفاد من القرآن الكريم مِن متنه أكثرَ مِن التفاسير والشُّروح ، وكان ـ رحمه الله تعالىٰ ـ يذكُرُ شيئين هامَّين لفهمِ القرآن الكريم :

١ ـ مُصَاحبة الأشخاص الذين يتحلَّون بالعلوم النبويَّة ، والذين يُمَثِّلون بأعمالهم وطريقة حياتهم عن القرآن حيث يصدق عليهم : « كان خُلُقه القرآن »[١] .

٢ ـ اتباعُ آثار الأنبياء إذ يفتح اللهُ به قلبَ المَرْءِ لفهم القرآن الكريم[٢] ويقول :

« وكلُّ ما لا يَمُتُّ بصِلَته بمصدر العلوم النبويَّة هو موضعُ شَكٍّ وارتيابٍ ، ومجرَّدُ كلامٍ للتسلية ومحبوكٌ

---

(١) أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في « الأدب المفرد » (١/ ١١٥) برقم (٣٠٨) .

(٢) مشاهير أهل علم كي محسن كتابين : (بالأردية) للشيخ محمد عمران خَانْ الندوي ، ص(١٨٧) .

بالألفاظ الساحرة ؛ لأنَّه إنَّما تحصل طُمَأْنِيْنَةُ القلبِ بالعلوم التي تنفجر من العلوم النبويَّة ، والتي بَلَّغَها إيانا رسولُ الله ﷺ ، والتي تُوجد الآن بصورة القرآن الكريم والحديث النبويِّ »[1] .

•••

(١) المرجع السابق : ص(١٨٨) .

المدخل إلى الدراسات القرآنية

مبادئ تدبر القرآن والانتفاع به
أضواء على وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠ هـ

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

دراسات قرآنية

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢٠هـ

إعداد

سيد عبد الماجد الغوري

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

هـذا الكتاب

يحمل هذا الكُتَيِّبُ إشاراتٍ، ويُنيرُ جوانب، ويُرشد إلى معالم ومناراتٍ تُضيءُ الطريق للمشتغلين بالتفسير، وتُسهِّل مهمتهم وتساعدهم في تحقيق مقصدهم العظيم.

وهـذا الـكُـتَـيِّـبُ جـديـرٌ كـل الـجـدارة بـأن يـجـعـلـه المتخصِّصون في الموضوع نِبراساً لهم ومشعلاً، يُواصِلون رحلتَهم القرآنية مستنيرين بما احتواه ـ هذا الكُتَيِّبُ ـ من توجيهاتٍ ولفتاتٍ وتجارب لرجلٍ قرآنيٍّ عاش ـ مدَّة حياته ـ للقرآن وبالقرآن.

دار ابن كثير
دمشق : ص.ب. 311
بيروت : ص.ب. 113/6318
www.ibn-katheer.com
info@ibn-katheer.com